

رسالة إلى دعاة الحوار

توحيدُ الكَلِمَة على كلمةِ التوحيد

بقلم الشيخ المحدث
عبدالعزیز بن مرزوق الطريفي

إنّ كلمتنا إن جُمعت
على غير هذا، فهي كلمة ضائعة ممزقة،
ولن تكون لأمتنا شوكة، هذا أمر مُسلم وإن
تجاهله البعض، عرفه العدو قبل الصديق .. يقول
وزير

المستعمرات البريطانية في وقته "أوريبي جو" :
"إن سياستنا

تهدف دائمًا وأبدًا إلى منع الوحدة الإسلامية أو
التضامن الإسلامي،

ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك " وقال : "إننا
في دول إسلامية

شجعنا -وكنّا على صواب- نمو القوميات المحلية،
فهي أقل خطرًا من

الوحدة الإسلامية" .. وقال المؤرخ أرنولد توينبي:
"إن الوحدة الإسلامية

نائمة ، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد
يستيقظ" .. ولا عزة

ولا تمكين لنا إلا بالإسلام كما قال عمر رضي الله
عنه: "نحن قوم أعزنا

الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله"
وما قرّر في هذه الرسالة

أمر متفق عليه في الإسلام لا خلاف فيه، والمقصود
منها تذكير

للمسلم, وأما من تبني فكر خصوم الإسلام فسَقَوْه
من آرائهم
حتى ثمل, وملاؤا عقله بأفكارهم حتى ثقل,
وضلعوه
بأصولهم حتى أسلم لهم القيادة, فقد لا يدرك
مني إلا تحريك الشفتين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل: **(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ
 الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي
 الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** [آل عمران :
 85] ، حمداً لا ينقطع ولا ينفد، وأصلي
 وأسلم على القائل: **(والذي نفس
 محمد بيده: لا يسمع بي أحد من
 هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم
 يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به،
 إلا كان من أصحاب النار)** والقائل: **(
 والذي نفس محمد بيده لو كان
 موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه
 وتركتموني لضللتكم ضلالاً بعيداً،
 أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من
 النبيين)** . صلاةً باقية إلى الأبد .. وبعد :

فإن أشد البلاء أن يمس الإسلام ولا
 حراك لمن أخذ الله عليهم الميثاق، أن
 يبلغوا ويقوموا بأمر الله حقّ قيام، حتى
 دُعي لتبديل الشرع، وجُعلت أصوله تقبل
 الأخذ والرد، في وسائل الإعلام وحوارات
 العلماء والمفكرين، في صمت عميم من
 العلماء وأهل العقل، فأصبح العالم أحوج
 إلى النصيحة من الجاهل .

حتى بلغ الأمر إلى تبديل كلام الله
والدعوة إلى خلافه، ومن ذلك الدعوة إلى
تغيير كلمة الكافر إلى (الآخر)، ونسوا أن
الإسلام إسلام والكفر كفر، فأصبح الموحّد
يتوجّس غربة، ولو كان الأمر مساومة على
دنيا وسلب حظ من حظوظها، لنطق من
نطق من أربابها، وصاح من صاح من
طلابها، وقد أصبح في عصرنا كثير من أهل
العلم ألصق بالدينا من العوام، وما أجمل
ما قاله أحمد بن حنبل: سمعت سفيان
الثوري يقول: "ما ازداد الرجل علماً
فازداد من الدنيا قرباً إلا ازداد من الله
بعداً"

فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا
ما أخذ الله على أهل العلم أن لا يقاروا
على كِظَة ظالم مارق، ولا سغب مظلوم،
لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها
بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد
عندي من عفضة عنز، ومن نصر الله
نصره، وأعزه ومكن له، والواجب على
العلماء النهوض والقيام بالحق، ونصرة
الملة، لكن المرجو في عصرنا من كثير
ممن ينتسب إلى العلم السكوت عن قول
الباطل لا قول الحق، فقد أفلح من نهض

بجناح أو استسلم فأراح، ولكن العلماء استسلامهم في هذا الباب ذلة وعار، ونكوصهم عن بيان التوحيد والتلبس فيه معقد الشبه بينهم وبين علماء بني إسرائيل، فالمصلحة في نقض كل ما يقف في وجه التوحيد، فالتوحيد أعظم مصلحة ترجى، والشرك أعظم مفسدة تُدرا، ومن نكص عن نصره التوحيد، هَيْبَةً أو رغبة في مصلحة أعظم بزعمه، فما والله عرف العزم والحزم، ولا متى يكون الإقدام والإحجام، **فكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة**، وقد كاد المصلح يُصبح بلا ناصر ولا معين إلا من الله، ووسط أناس اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له أشراكاً، فباض وفرّخ في صدورهم، ودب ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بالسنتهم.

وظهور هؤلاء المبدلين والمغيرين للشرع ليس بالأمر الجديد، فالملحدون والمنافقون والمشركون لا يعرفون وقتاً أو زمناً، والموحدون قاعدون لهم كل مرصد، وخروج البعض ممن ينتسب للإسلام ليقول بشيء لم يقله مسلم قبله ليُرضي الكافر، هو هزيمة نفسية شر هزيمة، حتى ظهر ذلك ممن ينتسب للعلم، وهذا ربما يكون

من آثار هزيمة النفس التي أورثها الحادي عشر من سبتمبر، فأصبح كثير من الكتاب يتحدث وينتقي ما يظهر محاسن الإسلام بزعمه ويُحسِّن صورته، ويتوارى من تقرير الصراع بين الحق والباطل، والكفر والإيمان وجهاد أعداء الله تعالى، حتى وصل ذلك لنقض الإسلام وتحاشي تسمية الكافر باسمه، وُصِف من يدافع عن عرضه وأرضه ودمه بأنه مُلقٍ بنفسه إلى التهلكة، بل وشُرِّع بعض المنهزمين ولاية النصارى على المسلمين، فما أشبه الليلة بالبارحة، واليوم بالأمس فحين اغتصاب الفرنسيين للجزائر بلغت الهزيمة بالمسلمين أن قدر الفرنسيون على إعداد فتوى تجعل الجهاد ضد الفرنسيين من باب إلقاء النفس إلى التهلكة، وضرورة الرضا بحكم الفرنسيين في الجزائر .

وإن لم يعتبر المنهزمون بالوحي أن تبديل الحكم الشرعي طلباً لرضا كافر أو منافق ظلم للنفس وللأمة موبقٌ، فها هم الكثير من بني جلدتنا قد بحت حناجرهم، وكلت أجسادهم، وتجرحت أقدامهم، وضيّعوا أموالهم في السعي نحو الغرب من أجل المناشدة بالسلام العالمي، والتآلف والتعايش، فما زاد الغرب إلا عتوّاً

واستكباراً ونفوراً عن الإسلام، فيجب علينا أن نأخذ دين الإسلام بفخر وقوة واعتزاز، ومن ذلك أن نقيم شعيرة الولاء والبراء ونحکم بشرع الله ونضعه حيث وضعه، ونبغض أعداء الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين وتبرأ منهم والآيات والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصى.

والإسلام دين العدل والحق والشمول، فحين العمل يجب أن نأخذ بكل نصوصه، لا نظهر جانباً ونغيب آخر لمطمع ومصالحة تُزعم، فالإسلام دعى إلى اللين والرفق في موضعه ودعى إلى الجهاد والغلظة في موضعها، وهذا هو نهج النبي ﷺ كما أنه نبي الرحمة والعفو، فهو نبي الملحمة، فلا نأخذ أمراً وندع الآخر، بل إن المتعين والواجب أن نشغل باتباع نهج النبي ﷺ في الحب والبغض، والولاء والبراء.

وأن نراعي حين التعامل مع العدو أحوال المسلمين من قوة وضعف، ففي القوة يُبادر بجهاد أعداء الله، وفي حال الضعف والوهن يؤخذ بآيات الصبر والصفح، مع العمل على إعداد العدة لتتقوى الأمة، فلا تبقى صابرة صافحة ذليلة، وحين الأخذ بهذا الجانب الشرعي لا

يلغى الآخر، بل يكون حاضراً لا يُغيّر ولا يُبدل ولا يغيب.

ومن انحرف عن نهج الإسلام وكفر بما جاء به محمد ﷺ انحط إلى أدنى الدرجات، وجعل نفسه مع البهائم بل هو أضل سبيلاً، وقد فهم كفار قريش التوحيد أفضل مما فهمه بعض المنتسبين للإسلام في عصرنا من دعاة التقريب بين الأديان، وحوار الحضارات، فحينما قال لهم محمد ﷺ: **(قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا)** قالوا كما حكى الله عنهم: **(أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ)** [ص: 5]، فعلموا أن كلمة التوحيد تنفي كل إله غير الله.

بل قد فهم بعض ملحدي عصرنا التوحيد أفضل منهم، فحينما تكلم الرئيس الروسي "بوتين" عن الحرية الدينية في بلاده قال: نحن نأذن بتعليم ونشر سائر الكتب الدينية لسائر الديانات إلا "التوحيد" لأنه يلغي غيره، ولا يقبل المشاركة.

وظهور ما يسمى بـ (حوار الحضارات) أو (حوار تقارب الأديان) كان في عقد التسعينيات ردّاً على أطروحة "صامويل هنتنجتون" (صدام الحضارات) فبدأ جملة من كتاب الغرب ومن خلفهم من أبواق

مصطنعة من أبناء المسلمين يروجون لفكرة (حوار الحضارات) و (التقريب بينها) و (المساواة بين الأديان) وأن أهل الكتاب مؤمنون بالخالق كالمسلمين وليسوا كفاراً، وتولد عنها انعقاد المؤتمرات والندوات لتُعنى بذلك، وبثوا سموهم الزعاف في مدح الإسلام والمسلمين تارة ووصفهم بالإرهاب تارة أخرى، وتلوّثوا في ذلك كالحرباء بحسب مصالحهم، وأتوا شركاء معهم في الإنسانية وعمارّة الأرض، وغرسوا في نفوس الكثير فكرة احترام الرأي الآخر مهما كان، وبثوا المفاهيم والأفكار والمصطلحات الغربية بين المسلمين لتصبح مطالب ومقاييس !

وقد وقع بعض أبناء المسلمين من علماء وأفراد ومؤسسات في شراكتهم، ففتقوا ما يسمى بـ (المصلحة) حتى دخل منها الكفر والزندقة، وفكرة الإخوة بين المسلمين وغيرهم من الكفار، وساروا بفكرة الأولويات النابعة من واقع المصلحة العامة، التي تجعل للعقل مدخلاً في منازعة الله في حقّه في التشريع وإصدار الأحكام، ولجؤوا إلى العموميات دون التفصيل لتميع أصول وأحكام وأنظمة الإسلام.

وقد جاء الإسلام بمفاهيم ومناهج وسلوك لتحديد هوية المسلم لتمييزه عن غيره، وتحدد له الطريق القويم والمحجة الواضحة للوصول إلى النجاة، قال تعالى **(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)** [يوسف : 108]، ويلزم من هذا عدم التخلي عن أي أمر متعلق بأخلاق وحياة الأمة المسلمة، فحياتنا على نهج معين خاص، مبني على عقيدة التسليم لله والعبودية له، والانقياد له بالطاعة، فالإسلام ليس كغيره فقد جاء بحفظ الدين والدنيا فهو سياسة واجتماع واقتصاد وسلوك وتربية، غير أن قوّة الكفار وضعف المسلمين وفرضهم الأنظمة الكافرة والقوانين المضادة لحكم الله، قد جراً عدداً من أبناء المسلمين أن يطلبوا مجتمعاً غير مسلم، قال تعالى **(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)** [المائدة : 50]، فتمكنت الهزيمة في قلوبهم، حتى لو ترك الغرب (اليهود والنصارى) ما هم عليه من قوانين وأنظمة إلى قوانين أخرى لإدراكهم بخطأ ما كانوا عليه لتركوا ذلك معهم، ولو عادوا لما كانوا عليه من قبل لعادوا معهم مرة أخرى ..

وقد حكم الله ولا مبدل لحكمه أن من لم يكن على الإسلام فهو من ملة الكفر، مستحق للنار والخلود فيها إلى أبد الأبد، وهذا أصل التوحيد، وعليه بُعثت الرسل، وأنزلت الكتب، وخلق الجنة والنار، وشرع الجهاد، ونصب الميزان، ووضع الحساب والعقاب، أصل مستقر لا خلاف فيه عند المسلمين عالمهم وجاهلهم، ومن شكك فيه، فضلاً عن مخالفته، فليس هو من المسلمين، بل من أدخل المشكك فيه والمخالف في دائرة الإسلام كافر خارج عن الملة باتفاق المسلمين، ومن العجب أن مثل هذا الأصل يبيّن، فهو من الواضحات، والأصول البينات.

وقد جاء القرآن والسنة مفرقاً بين المسلمين والكفار، ومبيناً أن هذين الاسمين اصطلاحين شرعيين لا يجوز النزاع فيهما، وجعل ذلك أصلاً من الأصول، إذ لا تكاد تخلو سورة من بيانه، فبيّن الفرق بين مدلول كلمتي (المسلم) و(الكافر)، فكان المسلم كل من يدين بدين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ فحسب، وكان الكافر كل من يدين بغير الإسلام (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ

يُقْبَلُ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [آل عمران : 85].

وهذا الفهم بين واضح وصریح وجلي كالشمس، في أن غير المسلم يكون كافراً مهما كان دينه وشريعته، وإذا مات دخل النار، وأن المسلم إذ مات ماله الجنة، فالأصل أن يسمى كل باسمه، فالكافر لا يصح أن نسميه (غير المسلم) فحسب بل هو كافر أيضاً، فهذه المصطلحات الشرعية وبهذه المسميات التي أنزلها الله في كتابه وفي سنة نبيه يتم التمييز بين البشرية في الأرض، وفي دائرة كل مسمى تتفرع المسميات فالكافر يكون يهودياً أو نصرانياً أو بوذياً أو هندوسياً مهما كان دينه، ومهما كان فكره فيكون شيعياً أو ماسونياً أو علمانياً أو ليبرالياً ونحو ذلك .

فهذا التمييز بين المسلمين وغيرهم أصل في عقيدة الإسلام وأحكامه بل هو أساسه، فلا حلول وسط ولا التقاء مع الكفار في الأسماء ولا في الأحكام ولذا قرر تعالى هذا الأصل بقوله: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي) [الكافرون : 6] فلا توافق بيننا وبين الكفار، إلا بصور معينة بينها الشارع .

فلا يمكن أن يتضح المسلم وحقيقته
إلا بتبيين حقيقة الكافر، إذ أن الشيء
يتضح ببيانه وبيان ضده.

فعند الحكم على الناس عامة يقال
مسلمون وكفار، لا وجود لشيء آخر غير
ذلك، حُكم لا مناص منه، ولا حيدة عنه، إذا
هو الإسلام والإسلام هو، لا فريق ثالث في
الدنيا غير ذلك، قال تعالى: **(هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** [التغابن : 2].
حتى من وقع في الكفر وتلبس به من
الأمم والشعوب التي لم تقم عليها الحجة
في الظاهر فهي كافرة أسماً، لمشابهتها
لفعل الكفار في الظاهر، لكنها ليست
بكافرة حُكماً، فلا تُقاتل، ولا تُسلب المال،
ولا تُستباح سائر جرماتها، حتى تقوم البينة،
بخلاف الكفار الخالص الذين قامت عليهم
البينة والحجة، فهم كفار حُكماً واسماً،
ولذلك سمي الله من وقع وتلبس بفعل
الكفر (كافرًا) وإن لم يبلغه الحجة، فقال
تعالى: **(وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ
اللَّهِ)** [التوبة : 6] فسماه (مشركاً) قبل
أن يسمع كلام الله، لكنه ليس بكافر حُكماً
حتى يسمع كلام الله.

وبين الله وحكم وهو خير الفاصلين
 لأجل معرفة العدو من الصديق والحق من
 الباطل، قال تعالى: **(يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ
 خَيْرُ الْفَاصِلِينَ)** [الأنعام : 57] أي هو
 خير من بينٍّ وميِّز بين الحق والباطل،
 والسبب من تمييز ذلك في قوله:
**(وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ
 سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ)** [الأنعام : 55].
 وسفور الكفر والإجرام واستبانة سبيله
 وأهله مهم لوضوح الإيمان والخير واستبانة
 سبيله وأهله، وحينما يختلط سبيل باخر،
 ينعكس ذلك على أهله وسالكيه.

وقد حكم الله بذلك كله، ولا مبدل
 لحكمه، **(إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ)** [الأنعام :
 57] لا تززع ذلك ذلة زمرة، ومهانة ثلة،
 وهزيمة شرذمة .

سمى الله كل من لا يدين بالإسلام
 وهو دين محمد ﷺ كافراً.

وقال تعالى: **(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ
 كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
 مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)** [البينة :
 1]. وقال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
 أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي تَارِ
 حَتِّهِمْ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ
 الْبَرِيَّةِ)** [البينة : 6]. وقال تعالى: **(إِنَّ**

**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ
 ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ
 لَهُمْ) [محمد : 34] وقال تعالى: (إِنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ
 وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
 لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَصُورُوا اللَّهُ شَيْئًا
 وَسَيُحِبُّطُ أَعْمَالَهُمْ) [محمد : 32].
 وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا
 وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم
 مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ
 أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِّنْ
 نَّاصِرِينَ) [آل عمران : 91]. وقال
 تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُتَادَوْنَ
 لَمَفَّتْ اللَّهُ آكْبَرُ مِنْ مَّفَاتِكُمْ أَنفُسَكُمْ
 إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ)
 [غافر : 10]. وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ
 عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ
 أَجْمَعِينَ) [البقرة : 161].
 بل بين أن الكفرة من أهل الكتاب وغيرهم
 لا يحبون الخير لهذه الأمة بقوله تعالى:
 (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
 وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ
 خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ) [البقرة : 105].**

والمراد تقريره:

أولاً: أن مما أجمع عليه المسلمون، وهو أصل الاعتقاد في الإسلام المعلوم من الدين بالضرورة:

* أنه لم يبق على وجه الأرض دين حق يتعبد الله به سوى دين الإسلام، وأن الله ختم به الأديان والملل والشرائع **(وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** [آل عمران : 85] .

* وأن القرآن الكريم آخر كتب الله نزولاً، وهو ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل من التوراة والإنجيل وغيرها ومهيمن عليها، وكلها دخلها التحريف، وقد خص الله القرآن بحفظه، فلم يبق كتاب منزل يتعبد الله به سواه، قال الله تعالى : **(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ)**

[المائدة : 48]، وقال عن خصوصية القرآن : **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** [الحجر : 9]، وبين تحريف ما عداه كالتوراة والإنجيل، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان،

فقال الله تعالى : (فَبِمَا نَقُضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَيَتَسَوَّأ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَرَاكَ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) [المائدة : 13] ، وقال : (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤْيَا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ) [البقرة : 79] ، وقوله سبحانه : (وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [آل عمران : 78].

وما كان فيها من صحة فهو منسوخ بالإسلام، ولو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباع محمد ﷺ، فقد قال نبينا ﷺ وهو غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها شيء من التوراة: (أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟! ألم أت بها بيضاء نقية؟ لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي)، فلا يسوغ

لأحد من أهل الكتاب أو غيرهم الخروج عن شريعة الإسلام، ومن خرج كفر واستحق العذاب الخالد، فقد ثبت في صحيح مسلم: **(والذي نفس محمد بيده: لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار)**، فإذا كان هذا في حق أهل الكتاب وهم أمة كتابية، فغيرهم من باب أولى.

* وأن نبينا ورسولنا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل، كما قال الله تعالى: **(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)** [الأحزاب: 40]، وقد أخذ الميثاق على سائر الأنبياء أن بعثه محمد ناسخة لشرائعهم، ولو بُعث في عصرهم لتبعوه جميعاً، ولا يستحق الاتباع أحد غيره بعده، قال الله تعالى: **(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لِيُؤْمِنُوا بِهِ وَلِتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ)** [آل عمران: 81]. فموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لو كان مع محمد أو

بعده يجب عليهما الحكم بشريعة محمد
 واتباعه، وهما أنبياء الله ففي الحديث
 السابق: **(لو كان أخي موسى حياً ما
 وسعني إلا اتباعي)** وعيسى إذا نزل في
 آخر الزمان يكون تابعا لمحمد ﷺ وحاكماً
 بشريعته، قال الله تعالى: **(الَّذِينَ
 يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي
 يَحْدُوهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
 وَالْإِنْجِيلِ)** [الأعراف: 157].

وبعثة محمد ﷺ عامة للناس أجمعين،
 قال الله تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً
 لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** [سبأ: 28] ، وقال:
**(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
 إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)** [الأعراف: 158].

* ومن الأصول العظام في الإسلام
 أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل فيما
 جاء به محمد ﷺ وهو (الإسلام) من اليهود
 والنصارى والوثنيين وغيرهم وتسميته
كافراً، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين،
 وأنه شر الخلق، وأنه من أهل النار خالداً
 فيها، قال تعالى: **(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
 مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)** [البينة: 1]
 ، وقال: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ**

**الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ**
[البينة : 6].

وقد روى مسلم في " صحيحه " قال :
(**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد
من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم
يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا
كان من أهل النار**) ولهذا فمن لم يكفر
اليهود والنصارى وكل من خرج عن شريعة
محمد فهو كافر لتكذيبه ما جاء وتواتر في
الكتابة والسنة، ولنقضه أصول الإسلام
التي لا يستقر إلا بها.

* * *

ثانياً: أن ما تقدم هي أصول الإسلام
وكلياته الاعتقادية، إذا عُلم ذلك فإن
الدعوة إلى يُسمى بـ (وحدة الأديان) أو (
التقارب بينها) أو (الخلط بينها) دعوة
كفرية، تهدم الإسلام وتقوض دعائمه وتجزئ
أهله إلى ردة شاملة، وأصلها ومنبتها أهل
الكتاب، ومصدق ذلك في قول الله
سبحانه : (**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى
يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**)
[البقرة : 217]، وقال : (**وَدُّوا لَوْ**

تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً
[النساء : 89].

وحيثما يئس الغرب من السيطرة وإحكام القبضة على العالم الإسلامي، ووجدوا أن الحائل دون ذلك كله هو الإسلام وصلابة عقيدته، وقوة أهله فيه، بخلاف سائر شعوب الأرض التي دانت لهم، ورأوا أن نزع الإسلام من القلوب أمر متعذر، سعوا لهذه الدعوى، لتذوب صلابة القلوب وقوة الأمة وتنصهر فيما يريدون، فإذا تم إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر والحق والباطل والمعروف والمنكر، والعدل والظلم، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء إذاً ولا براء ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله، وهذا ما يريدونه من المسلمين، فرؤجوا لهذه الدعوى، خوفاً مما تقرر في الشرع من عقيدة الولاء والبراء والقتال، قال تعالى:

(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [التوبة : 29]، وقال: **(وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ**

**كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** [التوبة : 36].

ودعوة وحدة الأديان أو التقريب بينها،
رَدَّة صريحة عن دين الإسلام، إن صدرت
من مسلم، لأنها تعارض أصول الاعتقاد،
وتكذب القرآن إذ أنه ناسخ لجميع ما قبله
من الكتب كالتوراة والإنجيل والزبور
وغيرها، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما
قبله من الشرائع، وترضى بالكفر والشرك
بالله.

* * *

شبه وبيانات:

يشير بعض دعاة التقريب بين الأديان،
أو بعض الملحدين الذين يزعمون تسامحاً،
وهم في الحقيقة في عداد الملاحدة
المكذبين للكتاب والسنة، يثيرون شيئاً من
الشبه التي لا تنطلي على مؤمن، لكن رأينا
إزالتها إذا قد تنفذ لبعض العقول التي لا
تحسن فهم الكتاب والسنة.

أولها: أن الله قال: **(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ
الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** [آل عمران :

[85] والإسلام هو الاستسلام لله على أي ملة كانت، وكتب كثير منهم عن معنى كلمة "الإسلام" في هذه الآية الكريمة بوجه لم يقله مسلم قط، فقالوا أن الإسلام هو دين الله ودين من أسلم وجهه وذاته وإرادته للخالق، والكلمة هنا (الإسلام) ولو أنها تشمل المسلمين أتباع الرسالة التي أتى بها الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، إلا أنها لا تقتصر عليهم، كما نرى في الآيتين التين سبقتها (أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْإِسْحَاقَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [آل عمران: 83-85].

وقالوا: الآيات التي تبين أن لفظة الإسلام والمسلمين لا تقتصر على أتباع الرسول محمد ﷺ عديدة كقوله: (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ

**الْعَالَمِينَ * وَوَصَىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ
الْدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
* أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن
بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا
وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** [البقرة
131-133].

وقوله: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا
وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [آل عمران:
67]، وقوله: (فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ
الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ
وَاشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران:
52]، وقوله: (وَإِذْ أُوحِيَ إِلَيَّ
الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي
قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)
[المائدة: 111].

قالوا: فالتسمية بـ"المسلمين"
شملت أقواماً سبقت مجيء الرسول
بقرون عديدة.

وبيان ذلك :

أن اليهود الذين اتبعوا موسى عليه السلام والنصارى الذين اتبعوا المسيح عليه السلام بلا تحريف وقبل محمد هؤلاء مسلمون، ولا وجود لهم اليوم، ووجودهم متعذر، وذلك أنهم حرفوا كلام الله وبدلوا تشريعه، وأشركوا به، فمن أراد أن يتدين بما جاء به موسى وعيسى من تشريع في الإنجيل والتوراة لا يمكنه ذلك، لأنها محرّفة بنص الكتاب والسنة، وهذا أمر محسوم من شكك فيه كفر، فاليهود القائلون بأن عزيزاً ابن الله، وكذا النصارى القائلون بالتثليث فهؤلاء كفار اتفاقاً، كما حكاه ابن حزم كما في "مراتب الإجماع" (ص 119): (اتفقوا على تسمية اليهود والنصارى كفاراً واختلفوا في تسميتهم مشركين).

فمن قال ببقاء أمة منهم (مسلمة) باقية على ما لم يحرف وأن التحريف في بعضهم، مكذب في نسخ الشريعة المحمدية لما قبلها، وأن لا إسلام إلا ما جاء به محمد ﷺ، ومن قال أن اليهود والنصارى الآن على ما دعى إليه موسى وعيسى، مكذب بعموم الرسالة ونسخها ونصوص القرآن والسنة في إثبات التحريف فيهم، وكل ذلك كفر بالإجماع (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
 وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
 اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ
 يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
 الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
 أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
 ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ
 وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)
 [المائدة : 72,73].

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ
 وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ
 ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ
 قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ
 اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [التوبة : 30].

- ومن كفرهم اتخاذهم أحبارهم
 ورهبانهم أرباباً من دون الله تعالى، قال
 تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ
 أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ
 مَرْيَمَ وَمِمَّا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا
 وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا
 يُشْرِكُونَ) [التوبة : 31].

والإسلام يُطلق على كل منيب لله
 موحد له منذ بعثة نوح إلى محمد، وبمحمد
 نُسخت الشرائع كلها، فمن خالفه فليس

بمسلم، إذ أنه مكذب لعموم رسالته ولختام نبوته، وعموم الرسالة وختامها ووجوب المتابعة أصل من أصول الإسلام لا إسلام بدونه **(وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** [آل عمران : 85].
والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان، ودليل ذلك أن النبي محمد ﷺ قطع على كل من لم يؤمن به ويتبعه أنه من أهل النار سواءً كان كتابياً أم غير ذلك، فقد روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(والذي نفس محمد بيده: لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار).**

فهذا قاطع بكفر كل من لم يتدين بدين محمد ﷺ، وأن عاقبته النار، وأول من يدخل في ذلك اليهود والنصارى..
وقد أمر الله بسلوك سبيل نبيه محمد ﷺ فقال: **(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ)** [الأنعام : 153].

ومن خالفه متوعد بالنار ففي " صحيح البخاري " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **" كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي "**. قيل: ومن يأبى؟ قال: **" من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى "**.

فالإسلام الآن لا يفسر إلا بما جاء به محمد ﷺ، بذلك فسرهُ الشرع، وقيده به، فقولهُ تعالى: **(فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ)** [آل عمران : 20] المراد بالإسلام هنا وفي غيرها من الآيات هو ما عليه نبينا محمد ﷺ خاصة لا ينصرف الاسم لأحد في عصره ومن جاء بعده إلا من تبعه، وتفسير الإسلام على هذا كما جاء في الحديث في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **" الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً "**.

فشريعة محمد اختصت بالعموم للناس كافة، وناسخة لغيرها ممن قبلها، وتواترت نصوص القرآن والسنة ببيان تحريف التوراة والإنجيل، والمكذب بذلك

كافر بالاتفاق، ومن أدخل في حقيقة الإسلام أحداً غير من كان على ملة محمد، أو أخرج من الكفر من خرج منها، مكذب لذلك كله.

فيجب الاستغناء بشريعة محمد عن سائر التشريعات، لأنها ناسخة وخاتمة لسائر الشرائع، جاءت لتوحيد عقيدة البشرية كلها، فقد روى النسائي وغيره عن النبي ﷺ أنه رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقة من التوراة فقال: "أُمَّتَهُوْكَون يا ابن الخطاب؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لو كان موسى حياً واتبعتموه وتركتموني ضللتهم" وفي رواية: "لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي" فقال عمر: رضيتُ بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ نبياً.

فلم يبق دين صحيح أنزله الله، يُحق به الحق ويُبطل به الباطل وتسمو به الإنسانية، وتسعد به البشرية، وتعمر به الأرض العمارة المرضية، سوى الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ من ربه وختم بها ما قبله، فقد سلمت من التحريف والتزييف، لكونها محفوظة من عند الله حفظاً أبدياً، من الله بدأ القرآن وإليه يعود

قال الله تعالى: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** [الحجر : 9].

وما في هذا القرآن أصل كل حق جاءت به الشرائع السماوية السابقة، مهيمن على جميع الكتب، كما قال تعالى: **(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ)** [المائدة : 48]

وشريعة محمد عامة للناس كافة، يجب على كل من سمع بها اتباعها، ومن لم يتبعها فليس من الإسلام في شيء قال تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** [سبا : 28]، فمن سمع بمحمد ودينه ثم لم يؤمن به فهو كافر لما روى مسلم **(والذي نفس محمد بيده: لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار)**، والمراد بالسمع هنا، هو أن يبلغه ذكر محمد ودينه وأنه نبي موحى إليه على وجه يفهمه لو أراد، وهذا كافٍ في قيام الحجة، وظهور المحجة.

فبالإسلام ختم الله سائر الشرائع، فلا مكان لاتباع شيء منها، ولا التدين بشيء مما كان عليه السابقون من أهل الكتاب وغيرهم قال تعالى: **(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)** [الأحزاب : 40]، فجعل الله الدين المتقبل عنده دين محمد الإسلام، لا يقبل من أحد غيره قال تعالى: **(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)** [آل عمران : 19] فمن تعبد بغير الإسلام كفر، وكان من الخاسرين قال: **(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** [آل عمران : 85] وجعل الله نبيه شهيداً على الناس هو وأمته يوم القيامة بما عملوا: **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)** [البقرة : 143]، وقال: **(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا)** [النساء : 41] يعني على سائر من جاء بعدك .

ثانيها: قالوا: الأديان كلها من عند الله وترجع إلى حقيقة واحدة، وكل منا

يحمل جانباً من الحقيقة، وأرض الله تسعنا
 جميعاً مسلمين ونصارى ويهوداً وكذلك
 جنته، مصداقاً لقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ
**آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى
 وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ**) [البقرة : 62]. وقوله تعالى
 (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
**وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا
 خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**)
 [المائدة : 69].

وبيان ذلك :

أن المقصود بهذه الآيات من مات
 على ملته قبل بعثة محمد ﷺ، من أهل
 التشريعات السماوية فقط، كاليهودية
 والنصرانية، فمن مات على ذلك مؤمناً
 عاملاً للصالحات، لم يكن على تحريف أو
 تبديل، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون،
 وهذا لا إشكال فيه بإجماع المسلمين،
 وهذا التأويل مروى عن أئمة التفسير
 كمجاهد والسدي، وعلى ذلك حمله سائر
 المفسرين وحمل الآية على غير ذلك
 يتضمن ضرب الكتاب ببعضه وإبطال

لأحكامه، ونقض لكثير من نصوصه، وما في هذه الآيات نظير صلاة بعض الصحابة إلى بيت المقدس فحينما ماتوا والقبلة كما هي في بعض غزوات النبي ﷺ، وغيّرت القبلة إلى البيت الحرام وجِل بعض الصحابة، هل يتقبل الله منهم أم لا؟ وهل يضيع عملهم أم لا؟ فأنزل الله قوله تعالى : **(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ)** [البقرة : 143] يعني صلاتكم، فقد روى البخاري من حديث زهير عن أبي إسحاق عن البراء أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله: **(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ)** [البقرة : 143] ورواه مسلم من وجه آخر.

فالعمل والافتداء بالحكم الشرعي المنسوخ قبل نسخه امتثال وقربه، والعمل به بعد نسخه مخالفة وُبُعد.

فقد روى ابن جرير الطبري في "تفسيره" عن ججاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) [البقرة: 62] الآية. قال سلمان الفارسي للنبي ﷺ عن أولئك النصارى وما رأى من أعمالهم، قال: **"لم يموتوا على الإسلام"**. قال سلمان: فأظلمت علي الأرض. وذكر اجتهادهم، فنزلت هذه الآية، فدعا سلمان فقال: **"نزلت هذه الآية في أصحابك"**. ثم قال النبي ﷺ: **"من مات على دين عيسى ومات على الإسلام قبل أن يسمع بي فهو على خير ومن سمع بي اليوم ولم يؤمن بي فقد هلك"**.

وثمة معنى آخر في التفسير للآية وهو أن الباب في الإسلام مفتوح أمام أهل الأرض جميعاً للإيمان بدعوة محمد، حتى لو لم يكونوا من العرب، إذ العبرة في الدين الخاتم أنه دين عالمي لا دين عصبية قبلية أو قومية أو مخصوص بعرق دون آخر، فمعروف أن أنبياء بني إسرائيل كلهم لم يُبعثوا لأحد من خارج أمتهم، فكانت

الآية مُزيلة للإشكال واللبس عند أهل الكتاب، أن الشريعة المحمدية للناس كافة، بل مُلزمة لهم.

ولهذا يجد المتأمل أن الله في كتابه قد علق نجات اليهود والصابئين والنصارى على إيمانهم بالله واليوم الآخر وعملهم الصالحات فقط دون اعتبار آخر (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة : 62].

ثم إن الإيمان بالله واليوم الآخر لا يصح إلا إذا آمن المرء بجميع الأنبياء والرسول، ومنهم محمد ﷺ وذلك واضح جلي من الآيات التالية: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) [النساء : 150, 151]، وقوله (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى
صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) [الأنعام : 92]
وقطع أن الرحمة لا تكون إلا لمن آمن
بمحمد واتبعه (قَالَ عَدَّابِي أَصِيبُ بِهِ
مَنْ أَشَاءَ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ
فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ *
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ
الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي
كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ
وَعَزَّزُوهُ وَبَصَّرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)
[الأعراف : 156, 157].

وهذه الآيات التي تمسك بها بعض أهل
الكتاب في أن الله زكاهم وبين نجاتهم
وأمنهم، من جملة ما أخبر الله عن
سابقهم أنهم يؤمنون ببعض الكتاب
ويكفرون ببعض، وما آمنوا به حرفوه عن
معناه ومقصده، وما من مرة أثنى القرآن
أو السنة على أحد من اليهود والنصارى إلا
كان ذلك بعد دخوله الإسلام، إلا أن بعض

ذوى الأهواء والعقول المعكوسة يَبْغُونَ منا
أن نقرأ القرآن ونفهمه بعقولهم المريضة
وأفهامهم المنكوسة.

وعلى هذا فليس في القرآن أي
تناقض، ولا وجود له إلا في قلوبهم
وأفهامهم، وهل من أنزل تلك الآية يقول
**(وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ
يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ)** [آل عمران : 85] وبأمر
المُصَلِّي في كل ركعة أن يقول: **(غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)**
[الفاحة : 7] والمغضوب عليهم اليهود
والضالون النصارى، وهل من أنزلت عليه
تلك الآية وهو محمد ﷺ يقول : **(والذي
نفس محمد بيده: لا يسمع بي أحد
من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني،
ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت
به، إلا كان من أصحاب النار)** ويقول:
**(والذي نفس محمد بيده لو كان
موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه
وتركتموني لضللتكم ضللاً بعيداً أنتم
حظي من الأمم وأنا حظكم من
النبين)**

والصابئون المذكورون ليسوا بأصحاب
كتاب سماوي ولا نبي، فلمَ قرنهم الله

باليهود والنصارى، وكيف يكونون (وَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة
 : 62] على ذلك المعنى الباطل.

فيجب أن نقرأ ونفهم كلام الله كَلَيْتَهُ
 وشموله ولا نجعله عِصِينَ.

فتأمل قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
**وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ
 مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا
 خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**) [البقرة
 : 62]. ذلك أنه لا معنى لاشتراط الإيمان
 بالله واليوم الآخر في حالة المؤمنين، أي
 المسلمين، وهم المذكورون في أول الآية،
 إذ هم مؤمنون، فلا يلحقهم وصف الإيمان
 أصلاً إلا بذلك، على عكس الحال مع اليهود
 والصابئين والنصارى الذين لم يؤمنوا
 بمحمد بعد، ومن ثم فلا يُعَدُّون مؤمنين كما
 بينا.

ولو كان النصارى والصابئون واليهود
 من أهل هذا الوعد (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)
 [البقرة : 62] لكانوا والمسلمين سواء،
 ولما وجب دعوتهم إلى الإسلام فهم لهم
 الأجر مع الأمن التام يوم القيامة، والآيات
 في دعوتهم أكثر من أن تُحصى، وقد بعث
 النبي معاذاً إلى اليمن يدعوهم إلى النجاة.

* ثم إن هذا الفهم فيه اتهام للقرآن بالتناقض، فمن هم الذين قال الله فيهم: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [المائدة : 72,73].

ولماذا أرسل النبي ﷺ إلى قيصر والمقوقس وغيرهما يدعوهم إلى الإسلام مخبراً لهم بحصول الإثم إن أعرضوا عن دعوته، فالنصارى لا يؤمنون بالإله الحق، بل يؤلهون عيسى، ويجعلونه رباً من دون الله، فهم في الحقيقة مشركون يعبدون غير الله كما يعبد البوذيون، والبراهمة، وأتباع كونفوشيوس في الصين، ولا يؤمنون باليوم الآخر الصحيح الذي جاء به الإسلام، وإنما يؤمنون بيوم يجلس فيه المسيح ليحاسب الناس، بل لا يؤمنون بمتع الجنة الحسية التي يتحدث عنها القرآن، والله قد

أخبر أن اعتقادهم ذلك كفر لا ينفعهم، فقد وصفهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، كما في قوله: **(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)** [التوبة : 29]، وهذه الآية بالإجماع في اليهود والنصارى عند المفسرين، فكيف يصفهم الله هنا بعدم الإيمان بالله واليوم الآخر وهناك يصفهم به!

ثم أن الله قال مبيناً بعدهم عن الإيمان: **(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا)** [المائدة : 65]

* وليعلم أن أصحاب الأهواء والنصارى خاصة حريصون أشد الحرص على إشاعة اللبس في هذه الآيات وإيهام الجهلة من المسلمين بأن القرآن يُخبر بنجاتهم ويمدح حالهم، وينص علي إيمانهم، لكن هيهات هيهات والمسلم يقرأ في كل ركعة: **(وَلَا الضَّالِّينَ)** [الفاتحة : 7] وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **(اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون)** وهم المقصودون في آخر سورة الفاتحة،

قال ابن أبي حاتم في تفسيره: " (ولا أعلم في هذا بين المفسرين اختلافاً).

* * *

وعلى ذلك :

فإن الدعوة إلى جمع الكلمة وتوحيد الصفوف على أمر غير الإسلام وتوحيد الله مع تنحية نصوص القرآن والسنة كفر وردة عن الدين، بل من رضي بذلك ورغب فيه، واستحسنه مرتد قطعاً بجميع أدلة التشريع من قرآن وسنة وإجماع.

فلا يجوز الدعوة إلى ذلك، ولا الرضى به، بل يجب إنكاره والتحذير منه.

ولا يجوز بالإجماع لمسلم أن يبني كنيسة، أو يعتني بها، أو يطبع التوراة والإنجيل لنشره.

ويجب دعوة أهل الكتاب وغيرهم من الكفار إلى الإسلام باللين والحسنى، قال تعالى: **(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)** [العنكبوت : 46] ليخرجوا من الظلمات إلى النور، وإقامة الحجة عليهم ليحي من حي عن بينه ويهلك من هلك عن بينة قال الله تعالى: **(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا**

**يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا
أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا
فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** [آل
عمران : 64].

أما حوارهم لأجل النزول عند رغبتهم، وإرضائهم، وتحقيق أهدافهم، فمنكر عظيم وشر مستطير، وفتنة كبيرة تفتن الأمة عن دينها، قال تعالى : **(وَاحْذَرُهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنِ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ)** [المائدة : 49].

ولا بد من وضوح الأحكام في بيان العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وغياب ذلك والبعد عن الفهم الشرعي في طريقة التعامل مع الأحداث، ووجود القصور والخلل في ذلك أدى إلى الشعور بالهزيمة والتبعية والانقياد والتسليم للغرب قولاً وعملاً عند كثير من المسلمين، وسيجلب ذلك جيلاً مهزوماً من أبناء المسلمين، فلا بد من الفقه في الشرع، وأن يتخذ المسلمون طريقاً واضحاً للتغيير والتعامل مع الكفار بعد النظر في الواقع وفهمه، ثم إنزال الأحكام عليه.

وليُعلم أن الالتقاء مع الكفار والحوار معهم يكون كما فعل الرسول ﷺ عندما بعث برسالة إلى هرقل بقوله تعالى **(قُلْ يَا**

**أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا
نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا
أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** [آل
عمران : 64]. وفي ساحة المعركة قال ﷺ
**"وإذا لقيت عدوك من المشركين
فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتهن ما
أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم
ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك
فاقبل وكف عنهم، ثم ادعهم إلى
التحول من دارهم إلى دار
المهاجرين، واخبرهم أنهم إن فعلوا
ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما
على المهاجرين، فإن أبوا أن
يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون
كأعراب المسلمين لا يجري عليهم
حكم الله الذي جرى على المؤمنين
ولا يكون لهم في الغنيمة والفية
شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين،
فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن
أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم،
فإن هم أبوا فاستعن بالله عليهم
وقاتلهم".**

هذا هو الالتقاء والحوار الذي حدده
 الشرع مع الكفار وليس غيره، وقد يقع بين
 المسلمين والكفار عهد وميثاق مؤقت،
 فتحرم بذلك دماؤهم وأموالهم، والتعدي
 عليهم حينئذٍ من أعظم الظلم؛ ففي
 "الصحيح" عن النبي ﷺ: (من قتل
 معاهداً لم يرح رائحة الجنة).

فلا العقيدة ولا التشريع ولا الوحدة
 الوطنية ولا القومية ولا الآلام ولا الآمال
 تربط بيننا وتوحدنا معهم، فلا مجال
 للتقارب إما إيمان وإما كفر، فالصراع دائم
 والمدافعة مستمرة، وهو صراع ومدافعة
 بين الحق والباطل بدأ منذ آدم عليه السلام
 ومنذ عصيان إبليس لرب العالمين، صراع
 مستمر بين إبليس وأتباعه وذريته وبين
 الأمة الإسلامية؛ هذه هي حقيقة الصراع
 وإن اختلفت المصطلحات والمسميات،
 وهذه هي طريقة الإسلام في الحياة وتلك
 طريق الكفر.

عبد العزيز الطَّريفي
 الرياض 15/6/1426 هـ
 ص.ب (24151) الرياض)
 (11322
 atarifi@hotmail.com